انقلاب الخامس عشر تموز من بعيون افريقية.

بقلم الإعلام والأكاديمي
عبد الرحمن بن محمد بن حماي
مستشار فنى في رئاسة جمهورية النيجر

قبل ان ندخل في الموضوع اريد الاشارة الي مشهدين جسدا الواقع الإسلامي في القرن الواحد والعشرون

١- صورة الشباب التركي الذي واجه الانقلاب بصدور عارية وعزيمة لا مثيل لها وهذا رسم صورة في أذهان الجميع أن الشعب ذو همة قادر على أن يلهم أمة
وأن القائد اذا آتى من عمق تطلعات وآمال الشعوب لا تهزمه طيارات ودبابات الغدر

٢- والمشهد الثاني هو صورة الطفل السوري عمران هذا الفتى الذي أنتشل من تحت الأرض وهو لايدري بأي ذنب قصفته طيارات الطاغية بشار والقيصر بوتين وبدى متماسك يمسح الدم عن وجهه الصغير يخاطب الضمير الإنساني قائل أيها العالم مهما ظلمنا فلن نركع فظلم الطغاة لن يقتل روح الصمود في مواجهة الظلمة.

مقدمة

أقدمت مجموعة من مندسة في الجيش التركي الخامس عشر من تموز 2016 ،على محاولة انقلابية كان مصيرها الفشل المحاولة التي تعد الخامسة من نوعها منذ قيام الجمهورية التركية 1923، حيث سبقها أربعة انقلابات ناجحة كان أولها على الحكومة المنتخبة برئاسة، عدنان مندريس 1960، في حين كان الثاني في العام 1971 وهو ما عرف "بانقلاب المذكرة"، حيث تم بتوجيه أمر استقالة من الجيش إلى رئيس والحكومة سليمان ديميريل دون استخدام القوة العسكرية، أما الثالث فقد كان أشدها دموية وحصل في العام 1980 وقاده الجنرال، كنعان إيفرين، ليطيح بالحكومة السادسة التي شكلها سليمان ديميريل، بينما سمّي الرابع بانقلاب" ما بعد الحداثة"، والذي جرى عام 1997 على حكومة حزب الرفاه برئاسة، نجم الدين أربكان، أول رئيس وزراء في تركيا بتوجه إسلامي صريح، حيث عقب هذا الانقلاب تم حظر حزب الرفاه واعتقلت قياداته بما فيهم أربكان ورئيس بلدية اسطنبول آنذاك، رجب طيب أردوغان.

ولعل الانقلابات الأربعة التي سبقت انقلاب تموز الفاشل تشترك بمجموعة من النقاط أهمها:

- الذريعة الدائمة للانقلابات هي حماية المبادئ الأتاتوركية التي قامت عليها الجمهورية التركية وعلى رأسها العلمانية، كون الجيش التركي ومنذ تأسيس الجمهورية اضطلع دستورياً بدور الحامي للجمهورية وقيمها.
- الظرف السياسي والاقتصادي السابق للانقلابات كان مهيأ، من حيث وجود ركود وتراجع في المؤشرات الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة وتدني مستوى المعيشة، بالإضافة لحالة من الفوضى السياسية والصراعات بين الأحزاب التي كانت في بعض الحالات دموية كما في انقلابي 1971 و1980، الأمر الذي كان يساهم بخلق حاضنة شعبية للانقلاب.
- قيادة الانقلابات كانت تشتمل على كبار الضباط في الجيش التركي، بالإضافة إلى الوحدات التي تمثل القوة الضاربة لهذا الجيش، وخصوصاً الجيش الأول التركي، وهو الأكثر تعصباً للقيم العلمانية داخل الجيش.

- وجود غطاء ومباركة دولية للانقلابات، وبخاصة من شركاء تركيا في حلف الناتو الذين يرغبون بالحفاظ على الصورة

التي تخدم مصالحهم للجمهورية التركية، كدولة علمانية تقف في وجه الامتداد الإسلامي خاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية في طهران وفي وجه تمدد الاتحاد السوفييتي سابقاً في الشرق الأوسط ومن بعده روسيا.

أما انقلاب 15 من تموز فيأتي في إطار مؤامرة محكمة وجهنمية يديرها جهاز متفرغ في مفاصل الدولة ولم يكن له أي مبرر حيث ان حزب العدالة والتنمية استطاع تحقيق نقلة نوعية شاملة في تركيا على صعيد الاقتصاد التركي والبنية التحتية والصحة والتعليم والعلاقات الخارجية من حيث الانفتاح على المنطقة العربية وإنجاز العديد من الشروط اللازمة لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي الأمر الذي وسع من قاعدته الشعبية وزاد من حجم التأييد له في الشارع التركي مما انعكس في قدرته على البقاء في السلطة لمدة 14 عاماً.

ولكن ومع بداية الربيع العربي في العام 2011 وانخراط تركيا كداعم واضح لتطلعات الشعوب، وخاصة الثورة السورية، بدأت تظهر بعض المؤشرات المعارضة للسياسة التي ينتهجها العدالة والتنمية في الأوساط السياسية والعسكرية نتيجة الأعباء التي تركتها سياسة الانخراط في الشرق الأوسط على الوضع الداخلي التركي. لذلك يبدو أن انعكاس أزمات تركيا الخارجية على الوضع الداخلي بشكل أزمات مركبة (سياسية، أمنية، اقتصادية)، شكل مؤشرات وثغرات يبدو أن الانقلابيين التقطوها وتصوروا بأنها يمكن أن تعطي لتحركهم زخماً شعبياً وغطاءً شرعياً فجاء الأمر مغايرا فانقلب السحر على الساحر.
قبل ان ندخل في الموضوع اريد الاشارة الي مشهدين جسدا الواقع الإسلامي في القرن والواحد والعشرون.

أسباب الهامة وراء فشل الانقلاب العسكري في تركيا:
1- ولاء القيادة المركزية للجيش حين الانقلاب العسكري لم يشارك فيه قادة الجيش البري والجوي والبحري حيث ظل القادة الكبار خارج المحاولة الانقلابية.

2-عدم قدرة الانقلابين على الوصول إلى الرئيس أردوغان، الذي ظل حراً يقاوم الانقلاب ويدعو الشعب للخروج إلى الشارع.

3- اصطفاف الأحزاب السياسية المعارضة مع للحكومة الشرعية بعدم تبييض الانقلاب أو توفير غطاء سياسي له.

4- كراهية الشعب التركي لتاريخ الانقلابات في بلادهم وامتلاكهم الشجاعة للنزول إلى الشارع رغم حظر التجوال الذي أعلنه ‘‘الانقلابيين.’’

5- عدم سيطرة من قام بالانقلاب على وسائل الاتصال ووسائل الإعلام بحيث ظلت خارج السيطرة.

دور الإعلام:
كما أبرزت المحاولة الانقلابية الفاشلة، التي قادتها مجموعة من المندسين في الجيش التركي ضد نظام الحكم في تركيا، في 15يوليو/تموز 2016، دورَ وأهميةَ الإعلام بوسائله المختلفة في التأثير في مجريات الأحداث وتطوراتها، وفي الرؤى والمواقف والاتجاهات، بل وفي تغيير معادلات الواقع السياسي وتشكيل وبناء واقع جديد، وهو الدور الذي يتعاظم خلال الأزمات بين أطراف وقوى الصراع المختلفة. وفي الحالة التركية كان الإعلام حاضرًا بقوة في مسار المحاولة الانقلابية؛ إذ عَكَسَ وعيًا وإدراكًا من قِبَل هذه الأطراف بأهميته في تغيير موازين القوى ومعادلات الصراع. أبرزت المحاولة الانقلابية الفاشلة، التي قادتها شبكة العسكريين في الجيش التركي ضد نظام الحكم في تركيا، في 15يوليو/تموز 2016، دورَ وأهميةَ الإعلام بوسائله المختلفة في التأثير في مجريات الأحداث وتطوراتها، وفي الرؤى والمواقف والاتجاهات، بل وفي تغيير معادلات الواقع السياسي وتشكيل وبناء واقع جديد، وهو الدور الذي يتعاظم خلال الأزمات بين أطراف وقوى الصراع المختلفة. وفي الحالة التركية كان الإعلام حاضرًا بقوة في مسار المحاولة الانقلابية؛ إذ عَكَسَ وعيًا وإدراكًا من قِبَل هذه الأطراف بأهميته في تغيير موازين القوى ومعادلات الصراع.وفي سياق هذه اللحظة المفصلية في مسار الانقلاب ومآله، يمكن رصد مجموعة من الملاحظات حول تفاعل أطراف الصراع مع متغيراتها ومنها

وسائل الإعلام:

أولًا : محاولة السيطرة على الإعلام الرسمي كانت تهدف لشلّ وسيلة الاتصال الرسمية بين القيادة السياسية والشعب؛ لذلك تم تحييد ثم إخضاع شبكة TRT ، والسيطرة على الموقع الإلكتروني لرئاسة الأركان، الذي يعتبر وسيلة إعلامية حساسة، وإصدار بيانات باسمه، وهو ما جعل المراقب يشعر بأن مؤسسة الجيش بكاملها مشاركة في الانقلاب، قبل أن تصدر بيانات عن رئاسة الجمهورية تؤكد أن رئيس الأركان محتجز كرهينة، وأن البيانات التي تصدر باسمه مُزَوَّرَة .

ثانيًا : تميَّز موقف وسائل الإعلام الخاص مثل قناة NTV ، وأخرى معارضة مثل قناة CNN Türk بالمسؤولية؛ إذ أفسحت المجال للرئيس أردوغان رغم معارضتها الشديدة لحكمه انطلاقًا من المسؤولية الاجتماعية؛ حيث استشعرت الخطر الذي يتهدَّد البلاد، وهذا ما دفع مذيعة قناة CNN Türk ، "هاندة فيرات"، للمبادرة بالاتصال بأردوغان، وهي المكالمة التي سرت كالنار في الهشيم عبر الإعلام المحلي والعالمي .

ثالثًا : كانت مدة الاتصال مع القناة قصيرة، لكن أثرها كبير أبرز أهمية الرسالة الإعلامية في وقتها المناسب؛ ولذا فإن لعامل التوقيت أثرًا كبيرًا خلال الأزمات لا يقل عن دور الوسيلة والرسالة معًا .

رابعًا : في تلك الساعات الحرجة للانقلاب أعلنت وزارة الداخلية التركية الاستنفار في صفوفها واستدعت كل وحداتها وعناصرها للتصدي للانقلاب، كما أن صمود جهاز الاستخبارات شكَّل أيضًا عاملًا مهمًّا في إفشال الانقلاب.

العواقب في حال نجاح الانقلاب:

لو نجح الانقلاب العسكري لكانت العواقب وخيمة على الديمقراطيات الشابة خاصة في العالم الإسلامي حين نجاح المحاولة سيفتح شهية كل من لديه نية في الاستيلاء على السلطة بصفة غير ديمقراطية

يقيناً أنه لو نجحت المؤامرة لكان الوضع أسوأ إذ كان بالإمكان أن تصبح تركيا دولة أكثر قمعاً يديرها الضباط بل وربما تنزلق إلى

الإدانة الرسمية:

كانت النيجر من الدول الأولى التي أدانت وبعثت برسالة تضامنية إلى تركيا ،هذه رسمية من الجمهورية بعنوان رسالة تضامن مع الرئيس التركي و نشرت في الإعلام الرسمي والحر صبيحة السادس عشر من تموز. وهذا جزء من محتواها.

"سيادة الرئيس، في ليلة 16 من تموز المؤسسات الدستورية التركية تعرضت لهجوم سافل من قبل مجموعة ظلامية سافرة بزي عسكري هدفها الأساسي هو الإنقلاب على الشرعية والدستور. كما أنني اتفاجئ من هذه الطريقة الدموية لقتل المواطنين الأتراك العزل بدم بارد من قبل هولاء المغامرين في وقت تواجه دولتكم فيه تحديات إرهابية.
سيادة الرئيس اريد أن أكد لم كل تضامن ومواساة النيجر شعبا وحكومة وانتهز هذه الفرصة لأقدم لكم أحر تعازية واتمنى الشفاء العاجل للجرحة " اخوكم محمدو يوسف رئيس الجمهورية .
كما أن الساسة والوزراء كانو في تفاعل مع الحدث حيث نشر وزير الخارجية السابق محمد بوعزوم على حسابه على تويتر تغريدة يقول فيها " أيها العسكر انتم مخطؤون اذا ظننتم أن مغامرتكم ستنجح، فزمن الإنقلابات قد ولى إلى الأبد فأرجعو الى ثكناتكم

الانقلاب بعيون الإعلام الرسمي في النيجر:

كان هناك إجماع في الإعلامي الرسمي والحر بإدانة الانقلاب بأشد العبارات واعتبر الجميع أن هذ الفعل مدان وعلى الجميع محاربته وكان هذا من منطلق وقناعة بديهية لدي الساسة والإعلاميين أن زمن الانقلابات قد ولى وأن الشعوب الحرة لن يحكمها إلى من أعطته التفويض وان نجاح مثل هذه المغامرات ستكون لها عواقب وخيمة على الديمقراطيات الشابة خاصة في النيجر التي أيضا تعرضت لمحاولة انقلابية مماثلة في 16 عشر من ديسمبر 2015 وكانت الأدوات المستعملة مشابهة بأدوات انقلابيين تركيا باستخدام السلاح الجوي وتحريك بعض الآليات الثقيلة.سأستعرض مجموعة من العناوين لصحف والمواقع الإلكترونية. موقع تمتام آنفو : جاء بعنوان إفشال الانقلاب العسكري من قبل الشعب التركي

سيكون مثل لشعوب الأفريقية. يحي الكاتب في مقاله الشعب التركي على شجاعته واستجابته السريعة لقيادته الشرعية ويقول بالحرف لو أن الشعوب الأفريقية اتخذت من النموذج التركي مثلا فلن يحلم مستبد أو مغامر بأن ينقلب على الشرعية الدستورية .

-أما صحيفة الساحل الرسمي فتناولت الحدث بمقال تحليلي بعنوان " الشعب التركي ينتصر للديمقراطيات الشابة ويقول للجيش قف عند حدك"
اما بالنسبة لموقع NIGERINTER. COM ترجم جزء كبير من خطاب الرئيس رجب طيب اردوغان في مطار اسطنبول بعنوان " أردوغان يأكد فشل الانقلاب ويتحدى طائرات أف 16 بالهبوط في مطار أتاتورك .أما بالنسبة للمواقع التواصل الاجتماعي فقد أخذ الحدث حيز كبير من تحليل المواطنين حيث نشر أحد نشطاء في المجتمع المدني على صفحته على الفيسبوك "أن أعداء الأمة سينتهون إلى مزابل التاريخ أيها المغامرون انتم لم تتعلموا من التاريخ بعد أن فشلتم في بوركينافاسو والنيجر في ديسمبر 2015 فستفشلون لا محالة في تركيا العزيزة " وأضاف آخر أن هذ العمل ليس لديه أي توصيف غير الإرهاب وعلينا ان نصفه بدون تردد"

الانقلاب بعيون الشعب:
ليلة الإنقلاب كان كثير من المواطنين يشاهدون قناة الجزيرة بنسختيها العربية والإنجليزية التي كانت تبث الحدث لحظة بلحظة وكانت الأغلبية متخوفة من نجاح فقد تلقيت عدة إتصالات من كثير المسؤولين المحليين يقولون لي بالحرف ماذا يجري في دولة أردوغان وأهم شئ أتذكره هو إتصال من سلطان تقليدي لمدينة اسمها اغاديز قال لي أنا سأنظر لله نظرا بختم القرآن الكريم خمسين مرة في كل مساجد المحافظة اذا فشلت هذه المغامرات فبعض دقائق معدودة خرج أردوغان على شاشة اتصلت به وقلت له أبشر أردوغان حر طليق فحسب خبرتنا أن الضامن لنجاح أي انقلاب هو اعتقال الرئيس أو الاستلاء على الإعلام وسائل الإتصال وهذا لم يحدث حتى الآن في تركيا وان خطاب أردوغان ونداء الذي وجهه لشعبه سيشكل نقطة البداية في فشل المغامرة فقال لي أين حصلت على الخبر فأنا أشاهد حاليا فرنسا 24 قلت له عليك بقناة الجزيرة

مجموعة فتح الله غولان:
هذه المجموعة ظاهريا ليس لها اي ارتباط بالدين حيث أنهم مهتمون أكثر بالجانب الاقتصادي والاستثمار في التعليم ،العقارات والخدمات ومعظم الناس يعتبرون أنهم مدعومين من الجانب الرسمي وأنهم يخدمون المصالح العليا للدولة التركية لهذا كانوا يحصلون على التسهيلات الإدارية من الطرف الحكومي لكن مدارسهم تخدع لتفتيش صارم من دوائر التعليم العالي والبحث العلمي والبرنامج التدريسي ينطبق مع البرنامج الرسمي لدولة بزيادة 3 ساعات اسبوعية للغة التركية.
ورواد تلك المدارس هم أبناء الساسة والوزراء والأغنياء حيث أن أسعار الدراسة غالية جدا ولديهم نشاطات اجتماعية كثيرة منها توزيع الأضاحي في العيد التي تأتي من تبرعات خارجية ويستغلون ايضا التسهيلات الحكومية في مجال إعفاء الجماركي للمنظمات الغير الحكومية بإدخال بضائع بالملايين تحت عنوان مساعدات إنسانية فيبيعونها في الأسواق .
أريد أن أوضح شيء مهما أن السلطات الرسمية التركية اذا سلمت النيجر وثائق ودلائل تثبت تورط أتراك مقيمين في النيجر في المحاولة الفاشلة أو لديهم ارتباط سياسي مع فتح الله غولان أن متأكد أنها الحكومة ستتعامل مع طلب بإيجابية حيث أن القوانين المحلية تحذر النشاطات السياسية والاقتصادية المضرة بالأمن القومي للدول الصديقة ومن هذا الباب أقول لكم أن مجموعة فتح الله غولان ليس لها اي مستقبل في النيجر.

توصيات هامة للنخب التركية:

1- حاولوا قدر الإمكان كسر حاجز اللغوي بينكم وبين العالم الإسلامي للتسهيل التواصل بين الشعوب.
2- تطوير العلاقات الأكاديمية بين تركيا وأفريقيا بتسهيل التحاق الطلبة بالجامعات والمعاهد التركية وإقامة اتفاقيات أكاديمية بين الكليات والمعاهد الأفريقية والتركية.
3- تدريس اللغة التركية في المدارس الحكومية في العالم الإسلامي بإرسال بعثات وأساتذة لهذا الغرض.
4- إنشاء مراكز ثقافية في كل العواصم الإسلامية على غرار المراكز الثقافية الفرنسية والأمريكية .

5- دعم منظمات المجتمع المدني وإرساء علاقات وطيدة مع النخب المؤثرة في رأي العام المحلي.
6- دعم الديمقراطية وحرية التعبير في الدول الإسلامية بعيدا عن الحسابات الأيديولوجية والمذهبية الضيقة.
عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول إلى في مجال رفع الظلم عن المظلومين والترفع عن الانجرار في تعميق الخلافات.
7- تطبيق سياسة سفر عدو في الوقت الحالي.
8- التوافق السياسي بين النخب السياسية بقدر الإمكان وهذا صمام الأمان للديمقراطية في تركيا .
9- دخول الأسواق الأفريقية.
10- فتح المدارس والجامعات العسكرية لضباط الأفارقة.
12- توجيه الإذاعات الى البلدان الأفريقية وفتح قناة تركية TRT AFRICA
13- فتح مكاتب محلية لوكالة أنباء الأناضول وقناة TRT لتغطية الأخبار المحلية .